السياسة اليمنية والفيزياء!*

قد يتساءل القارئ الكريم ما علاقة السياسة بالفيزياء؟ بالذات السياسة اليمنية؟

طبعا السياسة مؤثرة على كل نواحي الحياة بلا استثناء، والفيزياء جزء مهم من نواحي الحياة المعاصرة، فلمَ لا تؤثر عليها السياسة؟

ونحن نعلم كيف وجّهت السياسة علماء الفيزياء في أربعينيات القرن العشرين لاختراع القنبلة الذرية، وتجربتها في أواخر الحرب العالمية الثانية ضد اليابان.

أما عن السياسة اليمنية، فهي ليست منفصلة عن السياسة العالمية، بل تدور في فلكها وتتأثر بكل متغيراتها.

ولا ننسى أن علم الاجتماع الحديث (الغربي بالذات) الذي أسسه الفيلسوف الفرنسي أوجست كونت (١٧٧٩-١٨٥٧)

* نشر المقال في موقع العربي بتاريخ ١ أكتوبر ٢٠١٦م.

obeikandl.com

في عام ١٨٣٨م أطلق عليه في البدء اسم الفيزياء الاجتماعية Social Physics؛ وقال مبررا للاسم:

" إنه لدينا الآن فيزياء سماوية، وفيزياء أرضية، ميكانيكية أو كيميائية، وفيزياء نباتية وحيوانية، ومازلنا بحاجة إلى نوع آخر من الفيزياء هو الفيزياء الاجتماعية، حتى يكتمل نسقنا المعرفي عن الطبيعة. وأعني بالفيزياء الاجتماعية، ذلك العلم الذي يتخذ من الظواهر الاجتماعية موضوعا للدراسة، باعتبار هذه الظواهر من روح الظواهر العلمية والطبيعية والكيميائية والفيسيولوجية نفسها، من حيث كونها موضوعا للقوانين الثابتة".

لكنه غيّر الاسم إلى الاسم السائد اليوم علم الاجتماع Sociology، وذلك لمّا نشر البلجيكي كيتليه كتاب بعنوان "الطبيعة الاجتماعية " محاولاً استخدام الإحصاء في دراسة الظواهر الاجتماعية.

ومع ذلك نلاحظ ظلال الفيزياء في التقسيم الذي قدمه كونت لدراسة علم الاجتماع؛ حيث قسمه إلى قسمين أساسيين:

القسم الأول الديناميك الاجتماعي والذي يختص بدراسة قوانين الحركة الاجتماعية، والسير الآلي للمجتمعات الإنسانية والكشف عن مدى التقدم الذي تخطوه الإنسانية في تطورها، والقسم الثاني الاستاتيكا الاجتماعية والذي يدرس المجتمعات الإنسانية في حالة استقرارها وباعتبارها ثابتة في فترة معينة من تاريخها.

وقد عاد مسمى الفيزياء الاجتماعية إلى الواجهة مرة ثانية؛ فقد طرح الدكتور شاكر المخزومي - الفيزيائي العراقي، ومدير دائرة الأرصاد الجوية العراقية سابقا- عام ٢٠١٣م تساؤلا: هل يمكن أنْ نستخدم المنهجيَّة الفيزيائية في دراسة الموضوعات الإنسانية؟

وهل يمكن التَّوصل إلى قوانين دقيقة تصف السلوك البشري كما تصف قوانين الفيزياء الظواهر الطبيعية؟

فإذا تمكنَّا من أنْ نتعامل مع الظواهر الاجتماعية كما نتعامل معَ الظواهر الفيزيائية في المستوى الذي يدخل ضمنَ نطاقات المعدَّلات الإحصائية؛ فربما سنتمكَّن مستقبلا من

التنبؤ بالظواهر الاجتماعية كما نفعل الآن مع الظواهر الفيزيائية أو الفلكية.

وماذا عن السياسة اليمنية؟

دخلت مصطلحات الفيزياء إلى حلبة السياسة حتى تكاد تحس هذه القوانين مجسدة على الواقع، وليست مجرد رموز مرقومة على صفحات مراجع الفيزياء!

فنظرية ميكانيكا الكم Quantum mechanics – النظرية الحديثة لتركيب الذرة ـ تلاحقنا في كل شيء!

ومن ذلك قوانين عدم اليقين The uncertainty principle التي قدمها العالِم فيرنر هايزنبيرج التي تجعلنا ممنوعين من معرفة الحقيقة الكلية، وليس لنا أن نختار إلا نصف الحقيقة، أما الحقيقة الكاملة فنحن ممنوعون عنها.

وقد عنون د أحمد أبو زيد – عالم المستقبليات المعروف- أحد مقالاته بـ (المستقبل.. عالم اللايقين) قائلا:

" قلق وتشاؤم وخوف من انهيار العالم وما فيه من نظم. هذا هو عنوان المرحلة التي نعيشها الآن فإلى أي مدى تسود ظلمة التشاؤم؟ ومن أي فج يأتي نور الأمل؟!".

كأن هذه القوانين تعمل بجدارة في المستقبل العربي عامة واليمني خاصة!

ويضيف د أحمد أبو زيد " وقد أدت هذه الأوضاع المتغيرة وغير المستقرة بعدد من الكتّاب والمفكرين إلى وصف الحقبة الزمنية الحالية بأنها نهاية التاريخ، أو أنها تمثل مرحلة (الفرادة) وأنها نقطة تحول في تاريخ الجنس البشرى تتميز «بالفوضى الخلّاقة» وهكذا".

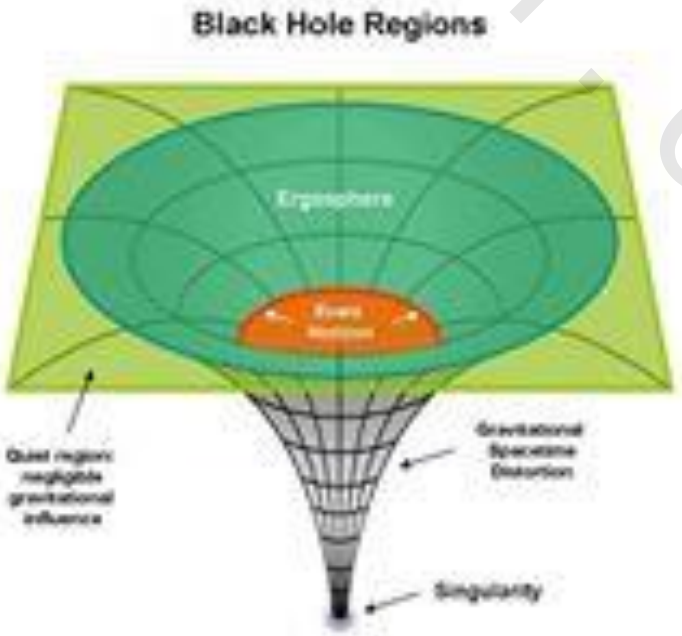

والفرادة singularity أو نقطة التفرد للثقب الأسود، وهو مصطلح يعنى الشيء الذى لا مثيل له، فالفرادة هي النقطة التي تتكدس فيها المادة في مركز الثقب الأسود، وتتحطم عندها كل قوانين الفيزياء، وفي ذلك إشارة إلى الخروج على القاعدة وإلى الدخول إلى مجال اللامتناهي.

وعندنا في السياسة العربية – واليمنية خاصة - لدينا فرادة أيضا تسوقنا إلى قرار مظلم بغير نهاية!

فتكون حالة مستعصية داخل الثقب العربي الأسود arabic black hole!

أما الفوضى الخلّاقة؛ فهي لفظ مهذب بديل للمصطلح العلمي الأنتروبي Entropy أو العشوائية الداخلية – وهو مقياس كمية الاضطراب العشوائي في نظام ما، حيث تزداد العشوائية الداخلية للمادة عندما تفقد المادة بعض قدرتها على العمل!

أليس هذا خير تعبير عن حياتنا العربية المعاصرة؟!

أما ثنائية المادة Wave–particle duality التي تعطي للمادة وجهين مختلفين في الوقت نفسه، تماما مثل وجهي

العملة، لكننا لا يمكن أن نراهما معا، بل وجه واحد فقط، وتظل المادة في تذبذبها بين هذين الوجهين المتضادين.

هذه الثنائية المزدوجة هي تصرفات السياسيين لدينا!

الذين يحاولون التوافق مع بعضهم البعض دون أن يدركوا أن أي موجتين لا تتوافقان إلا إذا كان تردد موجة جزء من مكونات تردد الموجة الأخرى، أما دون ذلك لن يحدث إلا نشاز!

وهذا ما يجري.

هؤلاء السياسيون يريدون أن يلعبوا على " توازن القوى" ولم يدرسوا الفيزياء، بل يواصلون سقوطهم "الحر" بسرعة الجاذبية الأرضية، لذا يجب إعطاء السياسيين دروس في فيزياء "السقوط الحر" أو نعطيهم "مظلات"!

فهم لو تلفتوا حولهم لوجدوا أن ظاهرة التشابك الكمي Quantum Entanglement - وهي ظاهرة ترتبط فيها الجسيمات الذرية (مثل الفوتونات والإلكترونات) ببعضها، رغم وجود مسافات كبيرة تفصل بينها- هي حالة واضحة لتشابك المصالح العالمية علينا، رغم تضادها الظاهر!

فما هم عاملون؟

خصوصا أن شعوبهم قد ألفت السكون والخمود، فأبدت كل مقاومة لأي تحريك؛ فهي شعوب تعاني من قصور ذاتي Inertia!

***

obeikandl.com